الجزء الثالث

الفصل الثامن

اطمأنت سلمى أن أختها تجاوزت خطر التهاب رئوي فعولـت علـى إداء واجبها في حقل التمريض..

انها في مستشفى الهوسبيس تعمل كمتطوعة، محاطة بالجرحى، والقلب الذي أساله عذابا مصرع كبش، قد حجرته المنـاظر الداميـة وتـوالي الخطوب.. أحقا لا تستقيم الحياة بغيرضريبة الدماء تدفعها الشعوب مـن فلذات الأكباد وزهرات الشباب لحفظ كيانها، لم الإعتـداء؟ ألحاجـة أم طمع، أم خوف؟

الأرض واسعة والخير وفير.. المزروعات تحرق فـي بقعـة وفـي غيرها يتضور القوم ويهوون الى الأرض جوعا وإعياء.. أروع ما بنته وأنشأته الحضارات يصبح ركاما وخرابا.. البضائع والمنتوجات تغـرق في البحار لا يفيد منها أحد.. كتل بشرية تهلك أو تعاق، ولو امتد بعمرها الزمن لأغنت الحياة بعملها وإبداعها.. هذه هي الحرب!

كل ما تحرص عليه من حماية الفرد فيها في نفسه ونسله ومعتقداتـه وماله وعرضه يستباح في هذا الإعتداء الجماعي من أمة على أمة ومن شعب على شعب!..

الحق أن العالم تنقصه المحبة والنظام قبل أن تنقصه الموارد الطبيعية، أفلا من يوم تنظّم فيه العلاقات سلمية مرضية بين الأمم، فاذا بهـا تقـيم فيما بينها عالما واحدا وعدلا واحدا وقانونا واحدا؟ لا بد أن هـذا اليـوم آت.. انها تؤمن بأنه آت، طال به الزمن أو قصر.. فلـيس أقـدر مـن الإنسان على تغيير القيم.. فان لم تؤمن أن الحياة تسير قدما الى الأمـام وان هي وئيدة، وأن كل ما عانته البشرية من آلام وويلات، ان هـو الاّ تقدم مستمر نحو الأفضل في العلاقات الإنسانية فلا معنى للوجود!

كانت هذه الأفكار تدور برأسها وهي تنتقل من جريح الـى جـريح، وتستجيب لما تؤمر به وما يطلب منها بنشاط لا يكلّ..

أسلمها طبيب غرفة تحصر فيها عنايتها.. وكـان فيهـا سـتة مـن الجرحى، واحد قطعت ساقه، وآخر أصابته رصاصة في رأسه وراح من حين لآخر يزعق بصوت راعد وقد فقد وعيه، وآخر قد تقرحت جراحه وراح في غيبوبة، وغيره أصابته قنبلة محرقـة فـي وجهـه فـووري بالضماد، وما كان يبين منه سوى منخريه وفتحة شفتيه، والإثنان الباقيان متماثلا الكلوم..

وكانت حين تنتهي من الضماد، وزرق الإبر تطيـل وقفتهـا قـرب الملازم "جوهر" المصاب في رأسه، تقطر في فمه الحليب، فيتململ ويفتح عينان كالجمر احمرارا ولكنهما غائبتان عن الوعي، ويهدر ولكنه يبتلـع الحليب، ويبلغ به الهياج أحيانا أن يثور ويحتفز للقيـام، فتهدئـه برفـق وتنيمه..

وفي يوم خلال موعد الزيارة، وقد طرق الغرفة زوار كثيرون وسلمى ملتفتة اليه تقطره الحليب، واذا به يثور ثورة مجنونة ويمـسك بخناقهـا بقبضة من حديد وهو يرعد.. وأحست سلمى بالإختناق، وبأيد تحاول فك أصابعه عن عنقها، وصيحات ذعر وروع.. وتفلت يـده لتمـسك بكـم قميصها وتنزعه فاذا به يتمزق وذراعها عارية.. ويستبد بسلمى الخجل، وبحركة لا شعورية تنزع غطاء رأسها وتسترها به.. وتلتفت واذا خلفها جهاد في بزة عسكرية يرمقها ويبتسم:

- ماذا تفعلين؟
- حمدا لله على مجيئك.. أجئت لإنقاذي؟
- كنت في زيارة صديق لي هنا جريح.. ولكن ماذا تفعلين بقميصك؟
- أيمكن أن أكلفك بالنزول الى الطابق الأسفل حيـث مخـزن الثيـاب وتسألهم أن يعيروني مريولا حتى أستطيع العودة الى البيت..
- سمعا وطاعة آنستي!

- ليكن لائقا يا جهاد..

وتبقى بضعة دقائق نهبا لنظرات الـداخلين والخـارجين، ولأسـئلة المتسائلين حتى يعود جهاد..

- جربي هذا.. لم يبق غيره.. وتعتطفه فاذا به يـصل الـى كعبيهـا.. وتضحك ويضحك جهاد وبعض الحاضرين..

- ماذا! أتريد أن تجعلني ضحكة بهذا الزي؟

- حزرت أنه لن يروقك فجئتك بإبرة وخـيط.. واذا وضـعت شـارة الصليب والهلال الأحمر فوق المكان المتمزق لا يستبين.. وضـم لهـا الخيط. فجمعت طرفي التمزيق وساعدها في جمعها.. وكان يمسك الإبرة بشكل مضحك ووخزها مرتين، فتبتسم:

- أهكذا يخاط؟ انك لست صناع اليدين!

- أهكذا تثنين على مهارتي؟ يقول ضاحكا..

* * *